

حياة شارع



للمدن علاقة بشوارعها وكأنها شواردها التي تبوح بأسرار كينونتها منذ شهقتها الأولى لأوكسجين الصبورة. وبغدادنا التي تلتحف السواد مرغمة لطالما خضت لنا شوارعها مواجعا التي لا تنتهي. ما أن تتذكر بغداد حتى يستعيد الذهن صوراً عن رشيدها وسعدونها وأبي نؤاسها تلك الشوارع التي كتب على حيطان أبنيتها تاريخ طويل من الفرح والحزن اللذين امتزجا ليكونا لوحة الحياة.



(٢-١)



الشارع ما بين ساحتي التحرير والنصر

شارع السعدون عقد من السحر يزين جيد بغداد

بعد أن أحزنته ليالي منع التجول هل يعيد الباص الأحمر الفرح لأرصفته؟

ثم اتجه الى بيته في شارع ابي نؤاس. وصعد إلى غرفته في الطابق الثاني وكتب وصيته الى ولده علي وبعدها أطلق النار على نفسه وفسر اسباب ذلك بوصيته المشهورة التي تدل على روحه الوطنية التي لم تتحمل تلك التهمة. هنا تركت الكاتب رفة ونهبت إلى الرجل ولكني عدت مسرعا الى الشارع بعد أن وجدت سؤالي وبحتي موضع سخرية الجميع لكوني ابحت عن مألوف في موضع اللامألوف، فالكثير من ساستنا او مطالبنا مشغولين ومصالحهم الشخصية، فالفسد بريء وكاشف الفساد هو المتهم شيئاً ام أبينا، المهم لا يهم ما دام الإصفاء أبكم، ويشير عبد الرزاق الى ان الحكومة بعد الحادث قامت بتخصيص (٥٠,٠٠٠) ألف روبية لشراء بيت لعائلته وكذلك صرف مرتب تقاعدي لعائلته قدره (١٢٠٠) روبية لكون بيته الذي انتحر فيه مستأجراً.

الفنان الايطالي بيتروكاونيكا بعد وفاته بأربع سنوات قامت العديد من الجهات والمؤسسات الخيرية والعديد من الأشخاص بحملة تبرعات من أجل إقامة نصب تذكاري لعبد المحسن السعدون وبالفعل تم انجاز العمل من قبل النحات الايطالي بيتروكاونيكا وهو الفنان نفسه الذي صنع تمثال الملك فيصل القائم في الصالحية، وتم نصبه عام ١٩٢٣. هنا اترك السعدون شارعا وسياسيا. لأفتش في أراج اسرار الموهلين جدا في مؤسسة الفساد العراقية، الذي خدمتم لم تتجاوز الشهر نعم، الس(٢٠) يوما(خدمة أعضاء مجلس الحكم المؤقت) وبعدها تسلموا القاعد المغربي وقطع الأراضي في المناطق الراقية كرفي ضمائرهم؛ بل بعضهم يمتلكون الآن عمارات وفلا في عواصم الدولة العربية، بل هناك شارع في لندن يسمى شارع العراقيون، وفيه تسكن بعض عوائل المسؤولين الذين يحكمون البلد. في حين أن السعدون رحل وهو لا يملك دارا أو رانبا، وحتى تمثاله الذي بني من النحاس لم يسلم من السرقة، فقد قام بعض اللصوص بسرقة النصب في شهر تموز من عام ٢٠٠٢، والتمثال الموجود حاليا قام بجلبه ابن عمه حميد السعدون ولكنه لا يرقى إلى التمثال الذي شيده بيترو.

عدت إلى الشارع الشارع الذي لا تخلو فيه أية بناية عن تاريخ طويل للمسلمين والمسيحيين واليهود لأرى في ساحة النصر بقايا من الباص الاحمر فقلت مع نفسي، الباص عاد فهل يعود الفرح؟ متسول في الشارع دعاني الى ان ابوح بوجه شاعرنا كاظم الحجاج وهو يقول: أنا لا أصوم انا صائم منذ ستين عام؛ اجوع واكل لكنني لا أبسمل عن لقمة بالحرام انا لا ازكي! فمن أين لي؟ وحتى لحافي... قصير على أرجلي!؟

بعد غد الجزء الثاني من حياة الشارع

مكتب الأمانة العامة لبحوث ودراسات جامعة الأوقاف



مكتب الأمانة العامة لبحوث ودراسات جامعة الأوقاف

يقدمه من أكلات عراقية معروفة أشهرها الفوزي على التمن، وشهرته تأتي من نكهة الدهن الحر الذي يواظب أولاد الحاج المرحوم حسن ابن سميته على استخدامه في الطبخ والأن يتواجد فيه أولاد الحاج حسن ابن سميته، أكملنا غداًنا وخرجنا من المطعم باتجاه شارع كان لا يعرف النوم أبداً بمسارحه وملامحه ودور السينما لن نعرف النعاس، واليوم تجده عند دخولك إليه بعد الساعة العاشرة مساءً تراه وكأنه منطقة محرمة او حقل الغام او كمدينة ضربت بالأسلحة الكيميائية تواء، فحظر التجوال الذي لا يزال يزعج بغداد عاصمة الفرح والسهر فضلا عن السيطرات العسكرية التي فرضتها خطة فرض القانون مع الحواجز الكونكريتية، كلها ادوات تشويه بات الناظر إليها يراها وكأنها مقبرة تسدل الستار عن حياة شارع يخترق قلب العاصمة بماضيه وحاضره ومستقبله الذي نراه على الرغم مما حدث ويحدث كما يراه صاحبنا وشاعرنا في هذا التحقيق كاظم الحجاج من قصيدته التشفيد الوطني: في البدء كان الرفادان وكانت الدنيا نخان لا بارق خلف المدى والأفق ضاق حتى بعد... مثل الندى وجه العراق

سبب انتحار عبد المحسن تحدثنا في حلقتنا هذه عن السعدون الشارع ولكننا لم نمر على السعدون السياسي العراقي. عبد المحسن بن الشيخ فهد السعدون ولد عام ١٨٨٩ في لواء المنتفح وهو ضابط ضمن صفوف الجيش العثماني. تسلم رئاسة أول وزارة عراقية لكنه توفي بظروف غامضة عام ١٩٢٩.

لكن الكاتب والإعلامي رفة عبد الرزاق يسرد القصة الحقيقية لوفاة أول رئيس وزراء للعراق حيث يقول ان المجلس النيابي آنذاك قام باستضافته، وداخل المجلس قام أحد الاعضاء باتهام السعدون بمجاملة الإنكليز، وبعد نهاية المجلس خرج باتجاه نادي بغداد الكائن في السعدون آنذاك وجلس قليلاً

سببها انفجار عبوة ناسفة في الشارع عام ٢٠٠٦ مما أدى الى استبداله بباب حديدي لا يرقى بشيء إزاء بابه الخشبي الذي اشتهر به، والناظر إلى الجامع يلاحظ حجم الكارثة التي يعيشها الجامع خاصة وأنه يجاور بيت متروك لأحد المسيحيين أصبح مكبا للقانونات يستخدمه سكان العمارات المحيطة بالدار، ونتيجة لتراكم القانونات من قناني فارغة وغيرها من المواد القابلة للاشتعال حدث أكثر من حريق خاصة في الصيف عند ارتفاع درجات الحرارة، مما شوه صورة مدخل السعدون من جانبه اليسر، ومعالجات أمانة العاصمة هي قيامها بتسييج واجهة البيت بواسطة صفائح الألمنيوم (الجيتكو) بصورة شوهدت مدخل هذا الشارع الذي يتباهى به العراقيون. وفي الرقاق المجاور للجامع كانت هناك مكتبات الاورفي العلمية.

تاجران وكباب أربيل ويقول داود وهو يتحسر على طعم الجوز في الدوندرمة الجوزية وعلى الفستق الابيض في الدوندرمة البيضاء، إن أقدم مقاهي الشارع هي (هوبي) و (زناد) ومن المطاعم تاجران وكباب أربيل وكذلك مطعم نزار للأكلات البغدادية، وهمبركر ابو يونان، اما المطاعم الموجودة حاليا كما يقول داود فإنها تأسست في سبعينيات وثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي. لكنها أنت بزي مترف على الرغم من أن مأكولاتها لا توازي القديم وأصاليه وطيبة الأنفاس التي صنعتها قديم مطابخها كابن سميته والمذاق وغيرها.

خراب البتاوين وأنت تلتفت يمينا ويسارا في الشارع يريك الخراب الذي تعيشه أركة مدينة البتاوين. هذا الحي الذي كان من ارقى احياء العاصمة وجذب اليه تجار ومترفي العراق، لكن مع دخول العرب من المصريين والسودانيين إليه والذي تزامن مع بداية حروب الطاغية أصبحت البتاوين ماوى للشاذين وماقيات التسول وغيرها من الأمور الأخرى. نعم.. ما يعيشه الشارع وازقة البتاوين تحتاج إلى أكثر من وقفة من المسؤولين عن دمار -فقوا- إعمار البلد.

وأنا انظر إلى مشرب بيتنا في بداية السعدون بعد ان تحول الى محال للإعلانات وغيرها لم تحضرني غير أبيات شعر الكبير كاظم الحجاج من قصيدة (انظر بعين من نهريين) حيث يقول: أنا لا أصلي! انا أتوصأ، دون صلاة، وهدي شمالي اعف واطهر ممن يصلي نهاراً ويسرق في الليل خبز عيالي. نعم ويسرق خبز عيالنا جميعا أيها الشاعر الشاعر.

مقهى المعقدين وكان محل حلويات جواد الشكرجي يأخذ مكانه بين المكتبات وكأنه يقول لك في اللهجة العراقية الدارجة (حيي واقراً). وأنت تدخل الرقاق الأول من جهة اليمين باتجاه شارع ابي نؤاس لا يمكنك أن تتجاهل مقهى (ابراهيم) والتي اشتهرت بمقهى (المعقدين). والمعقدين كلمة أطلقها احدهم على المثقفين الذين يملأون المقهى وفيه يطرحون قضاياهم وحواراتهم الثقافية في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي، وللأسف حين دخلناه اليوم لم نجد فيه اثرا لكاتب او بقايا قصيدة لحسين مروان او مشهد صعلوكي للراحل عبد الأمير الحصري. بل وجدنا بدلاً من ذلك أوراق بوكر تتقاذف بين الأيدي وأدوات الدومينو وبخان التاركيلات الذي يملأ المقهى، وحين حاولنا التصوير رفض احد الزبائن ذلك مدعياً بأن عضو مجلس بلدي في المنطقة ولم يسمح بتصوير الزبائن لضرورات أمنية. في حين وافق ابن صاحب المقهى الذي يدعى محمد جعفر مهيلة على تصويره وهو يمارس عمله في المقهى علماً ان اصحاب المقهى ابراهيم وخليل تركوا المقهى لصاحبه الجديد الذي حول اسمه إلى مقهى عبد الكريم قاسم، تركناه وتوجهنا إلى احد المطاعم الشهيرة وهو مطعم ابن سميته. لهذا المطعم شهرة خاصة لما

مقاهيه، قالت لك مكتبته " وخير جليس في الزمان كتاب"، جوامعه وباراته، حلوياته كل شيء فيه منفرد بمملكة خاصة من التنوع وكان هناك تسابقا في الشارع لجعله ملكاً لفة معينة ولكن السعدون بقي ملك الجميع. بالطبع حديثي يروي السعدون قديماً وليس الآن. الآن جرح معاناته يعادل طول الشارع بألاف المرات.

دوندرمة وحلويات للعشاق حين تدخل الشارع من الجهة اليمنى من نفق التحرير الذي كان سببا في هجرة تمثال عبد المحسن السعدون من هناك، صوب ساحة النصر بعد أن تم العمل فيه عام ١٩٧٢.. ستجد مكتبته الأصغر سناً من أكبرهن مكتبة (المثنى) التي تلفت من عمارة مرجان باتجاه السعدون وهي امتداد للمكتبة نفسها في شارع المنتهي والتي أسسها قاسم محمد الرجب عام ١٩٢٦.

فندمكتبة التحرير والنهضة والشرق ومكتبة المدى التي كانت ولادتها مع موت الطاغية. يقول احد موظفي مكتبة المدى السيد داود محمد أمين إن العمارة هذه تسمى عمارة فاطمة، وقال ان مكان المكتبة و المحل المجاور لها عبارة عن اكسبريس فلسطين ثم تحول إلى (كيت كات).. وهو مجمع للشباب، فتيانا وصبيات ناضجين



المكتبات تزين بداية الشارع

بغداد/ يوسف المحمداوي تصوير/ ادهم يوسف

بستان الخس الذي تحول إلى ساحة

السعدون الذي تحول من بساتين ومزارع الى شوارع وأحياء بدأ الحياة في ثلاثينيات القرن الماضي، وكانت بداياته متعثرة كأي مارد في عالم الشوارع، حيث كان بستان الخس الذي يقول عنه السيد هادي ابو حسن انه ساحة النصر الحالية، وكذلك بستان (مامو) فضلا عن مزارع صغيرة اخرى تعد الرابط ما بين البتاوين باتجاه ابو نؤاس، ثم يصبح كسور اخضر يحيط بالقصر الأبيض الذي هو محل إقامة الملك آنذاك، وفي بداية تكوين الشارع وتطوره مع ثلاثينيات القرن وحتى اربعينياته كانت وسيلة النقل الوحيدة هي العربة التي يجرها الحصان وما تعرف ب الربل كما يقول صاحب محل لبيع المواد الغذائية.

واستمر العمل بها حتى بعد دخول مصلحة نقل الركاب الإنكليزية الحمراء ذات الطابق الأول او الطابقين، لكنها غارتنا ولأسف في ثمانينيات القرن الماضي شأنها شأن الفرح الذي رحل بقوافله منا لأبد، ويضيف ابو حسن إن طول شارع السعدون يبلغ ٢,٥ كم حيث بدايته من ساحة التحرير وحتى نهايته بساحة الفتح في الكرادة الشرقية، وكانت الأحياء التي يخترقها الشارع من أرقى مناطق بغداد ولا يسكنها إلا الأثرياء وميسرو الحال فتجد المسلم واليهودي والمسيحي والعربي والكرد، بل ان هناك مقاهي سميت بأسماء الطبقات الميسورة مثلا عمارة النصر كان يقف مقهى التجار اما عمارة النجوم فيها كازينو حجي زناد التي تزئنها الشخصيات السياسية والمنتفذة، وكذلك كازينو اليهود في عمارة نور التي هي لصيقة عمارة النصر.. وهذه بأغلبها كانت موجودة حتى منتصف ستينيات القرن الماضي.

جاذبية المكان وذوول المتلقي

للسعدون نكهة خاصة قد لا نجدها في الشوارع الأخرى، وما يميز هذه النكهة، صعوبة الحكم بتعيين الشارع في حالة ما عن أخرى، فإذا ما قلت انه شارع الأطباء والصيادلة، ستبدي المطاعم اعتراضها مستعرضة عافية وطيبة مأكولاتها، وإذا ما مدحت فنادهه إيجابتك شركات السفر معترضة على ذلك. وإذا ما ذكرت مسارحها بخير احتجت عليك صالات السينما فيه. ولو فضلت الجلوس والتلذذ بشاي



المكتبات تزين بداية الشارع